قضايا الهوية والتراث في السينما الفلسطينية

Issues of identity and heritage in Palestinian cinema

أ. د/ سهير عبد الرحيم أبو العيون
أستاذ الفنون التعبيرية - قسم الديكور - كلية الفنون الجميلة - جامعة المنيا
Prof. Soheir Abdelraheem Abo Eloyoun
Professor of Expressive Arts - Department of Decor - Faculty of Fine Arts - Minia University
soheir_oyoun@yahoo.com
م.م/ مرام محمود ثابت محمد
مدرس مساعد - قسم الديكور - كلية الفنون الجميلة - جامعة الأقصر
Assist. Lect. Maram Mahmoud Thabet Mohamed
Assistant Lecturer - Department of Decor - Faculty of Fine Arts - Luxor University
maramthabet10@gmail.com

الملخص :

السينما مرآة الشعوب، وأحد الروافد الهامة لإبراز الهوية وسجلاً لحفظ تراث الأمم وتوثيقها، وقد عمدت السينما الفلسطينية إلى إبراز قضية الهوية وحفظ التراث في أفلامها، لا سيما وهم أصحاب قضية عادلة، ولكن كيف لها أن تحيا في ظل صراع مشحون ونزاع دائم على هوية الأرض، كيف لمخرجي السينما الفلسطينية أن يعبروا عن تراثهم ومعتقداتهم وتقاليدهم في ظل الحصار والقمع والعنف والتهجير، لقد عبّر الرعيل الأول من المخرجين الفلسطنيين عن قضيتهم بطرح سينمائي أقرب إلى المزج بين الأسلوب التسجيلي والروائي، وشكلوا حركة مقاومة لإثارة القضية الفلسطيني في السينما العالمية على غرار حركات المقاومة الفلسطينية، فنجحوا أن تصل قضيتهم إلى العالم كله من خلال لغة السينما. وأكمل مسيرتهم جيل مخرجي سينما المهجر والذين ظهروا من مطلع الثمانينيات من القرن العشرين، ولّدت حركتهم الفنية ثورة سينمائية وحراك شعبي ونضالي، عُرفت بالموجه الجديدة للسينما الفلسطينية.

لقد سعى مخرجو الموجة الجديدة الفلسطينية إلى تغيير نظرة الغرب عن صورة الفلسطيني الذي يقاوم المحتل ويفجر نفسه لينتقم من عدوه، إلى صورة الفلسطيني المعتز بأرضه والمتمسك بالحياة فيها والموت عليها، فهو يقاوم من أجل الإحتفاظ بهويته وطقوسه اليومية، غير آبه بالوضع المرير الذي يحياه في إصرار واضح وتجاهل تام لإستفزاز المحتل، لقد عبروا بصدق عن تمسكهم بهويتهم وتراثهم، فبلغ صداهم إلى المحافل الدولية ومهرجانات السينما العالمية .

وتبقى جدلية الهوية والإغتراب وتناولها في السينما الفلسطينية، وظل سؤال الهوية قائماً بالنسبة للمخرج الفلسطيني. فمثلث مكوّنات الهوية الوطنية الفلسطينية، وكأنه ما زل فاقداً لأحد أضلاعه: الثقافة، الدولة المستقلة المستقرة ذات السيادة، والصراع مع العدو الخارجي أو الداخلي. فالثقافة والصراع من أجل البقاء ضرورة ملحة إلى وجود دولة مستقلة مستقرة ذات سيادة.

الكلمات المفتاحية:

السينما الفلسطينية الجديدة، سينما المهجر، الصورة السينمائية، الهوية، التراث.

Abstract:

Cinema is a reflection of the society, and one of the important tributaries to highlight identity and a record of preserving and documenting the heritage of nations. Especially when they are the owners of a just cause. But how can it survive under a fraught struggle and a permanent conflict over the identity of the land. How can Palestinian filmmakers express their heritage,

beliefs and traditions in light of siege, oppression, violence and displacement. The first generation of Palestinian filmmakers expressed their cause through a cinematic presentation that is closer to mixing the documentary and narrative style. And they formed a resistance movement to raise the Palestinian issue in international cinema, similar to the Palestinian resistance movements. So they succeeded in reaching their Palestinian cause to the whole world through the language of cinema. Their journeys have been completed by the generation of expatriate filmmakers who have emerged since the early 1980s. Their movement generated a cinematic revolution, a popular movement and struggle. This movement became known as the new wave of Palestinian cinema.

The directors of the Palestinian new wave have sought to change the West's view of the image of the Palestinian who resists the occupier and blows himself up to take revenge on his enemy. They have changed this image into the image of the Palestinian who cherishes his land, clinging to life and death on it. So he resists in order to preserve his identity and daily rituals, regardless of the bitter situation that he lives. with clear insistence and totally ignoring the provocation of the occupier. They sincerely expressed their adherence to their identity and heritage. Then, their resonance reached international forums and international film festivals.

The dialectic of identity and alienation remains, and how it is dealt with in Palestinian cinema, and the question of identity remained for the Palestinian director with identity. The triangle of the components of the Palestinian national identity is still missing one of its sides: culture, the independent, stable and sovereign state, and the struggle with the external or internal enemy. Culture and the struggle for survival are in dire need of an independent, stable and sovereign state.

Key words:

New Palestinian cinema, Diaspora cinema, cinematic image, identity, heritage.

الهيكل البحث:

مشكلة البحث:

لقد بات التعبير عن الهوية ومسألة الإنتماء في السينما العربية من الأمور الملحة للمواطن العربي الذي فقد الكثير من مكوناته الثقافية في ظل نظام العولمة، لذا تهتم هذه الدراسة بالتركيز على قضية الهوية والتعبير عنها، والعودة إلى قيمنا وتقاليدنا العربية والتشبث بها، فالعالم يحترم من يملك قيم أصيلة وهوية وتاريخ عريق.

هدف البحث:

- التأكيد دور العناصر البصرية في تأصيل الهوية المحلية في أفلام السينما الفلسطينية.
- التأكيد على القضية الفلسطينية والهوية من خلال افلام السينما الفلسطينية.

فروض البحث:

- السينما أداة هامة للرد على إهانة الشعور القومي والقمع اليومي الذي تمارسه سلطات الاحتلال ضد كل عربي.
- استطاع المخرجين الفلسطينين التعبير عن رؤاهم الفكرية وهويتهم التراثية؛ برغم قمع الإحتلال لهم.
- التركيز على محلية العمل وارتباطه بهويته؛ داعي للتميز والنجاح والتقدير في الداخل والخارج.
- للسينما الفلسطينية دور في إيصال قضيتها للعالم الغربي.

أهميه البحث:
يتجه العديد من المخرجين الفلسطينيين إلى التأكيد على أهمية التراث الفلسطينى كموروث ثقافي عربي، وإلقاء الضوء على الأساليب التعبيرية السينمائية، وكيفية توظيف المفردات البصرية الخاصة بالهوية، وفق الرؤية الفنية والمكون الثقافي والفكر السياسي للمخرج.

حدود البحث:
- (الحدود المكانية: دولة فلسطين المحتلة).
- (الحدود الزمانية: من نهاية فترة السبعينيات وحتى بدايات القرن العشرين).

منهجية البحث:
ينتهج البحث المنهج التحليل الوصفي، دراسة وصفية تحليلية لنماذج بعض الأعمال السينمائية الفلسطينية.

المقدمة:

أ. نشأة السينما الفلسطينية:

يعتقد الكثير من المهتمين بنشأة السينما في فلسطين أنّ البداية الأولى للسّينما الفلسطينيّة جاءت متأخّرة كثيرًا عن السينما في العالم الغربيّ، وقد رجح البعض أنّ السينما الفلسطينيّة قد نشأت بعد انطلاقة حركة المقاومة الفلسطينيّة خارج حدود فلسطين لمعايشة حياة الشعب الفلسطينيّ هُناك وبدأت في عرض كفاحه المسلّح في المخيّمات وقواعد الفدائيّين، إلّا أنّ الفيلم الأوّل من سينما المقاومة كان في الأردن في بداية سنوات السبعينات، ولكن يعود بنا التاريخ إلى عام 1935، عندما قام الفلسطيني "إبراهيم حسن سرحان" بتصوير فيلم تسجيلي قصير مدته «20 دقيقة»، يُقال إنه كان عن زيارة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود لفلسطين، وتنقّله بين القدس ويافال، الفيلم كان صامتًا، ولكنّه وضع في مكان العرض أسطوانة تُعطي مؤثّرات موسيقيّة، بحيث لم ينتبه أحد إلى أنّ الفيلم كان صامتًا.

ومع تطور الصراع الناشئ بين شعب فلسطين والاحتلال الإسرائيلي، وتصاعد وتيرة الإحتاجات وقيام الانتفاضة الفلسطينية الأولى، نشأت السينما الفلسطينية مع انطلاقة الثورة الفلسطينية المسلّحة، والتي كان لها أبلغ الأثر في طرح العديد من القضايا من خلال أفلام سينمائية تختص بالتعريف بالقضية الفلسطينة للعالم كله، فقد كانت السينما في فلسطين داعمة بشكل أساسي التحول والحراك السياسي المعلن عام 1965. وظلت السينما أداة إعلامية فاعلة في يد الثورة الفلسطينة فظهر ما يسمى بسينما الثورة الفلسطينية والتي عُنيت بتصوير صور فوتوغرافية وبعض المواد الخاصة بالثورة، خصّت بتسجيل الصراع المحتدم وسبل المقاومة وصور الجرائم التي فُعلت بالشعب الفلسطيني والتعريف بشهداء الثورة الفلسطينية. فكان إنتاج أول فيلم سينمائي يتحدث عن الثورة الفلسطينية، والذي كان بعنوان "لا للحل السلمي" وهو فيلم تسجيلي قصير مدته «20 دقيقة». وتوالت بعده العديد من الأفلام المنتجة من قبل مؤسسة "وحدة أفلام فلسطين" والتي سعت في تأسيس "جماعة السينما الفلسطينية" عام 1973، وذلك بعد وقوع احتلال قطاع غزة من قبل الكيان الصهيوني.

نشأة الموجه الجديدة للسينما الفلسطينية:

لم تظهر في الأرض الفلسطينية المحتلة عام 1948 أي أصوات لإنتاج سينمائي فلسطيني حتى نهاية السبعينيات ومطلع الثمانينيات من القرن العشرين، فكانت تجربة المخرج الفلسطيني "ميشيل خليفي" التي بدأت في فيلم "الذاكرة الخصبة" عام 1980 هي إشارة البداية، ولحظة الولادة الحقيقية للسينما الفلسطينية الجديدة. وهو المؤسِّس الحقيقي للسينما الفلسطينية الجديدة، ومن بعده ستأتي أجيال من المخرجين الفلسطينيين، نذكر منهم المخرج "مصطفى أبو علي" مؤسس السينما الفلسطينية المعاصرة ورئيس جماعة السينما الفلسطينية.

وبعدها توالت الجهود المبذولة من قبل جيل السينمائيين المعاصريين للتعبير عن قضايا وطنهم المحتل، وظهرت ما يعرف بـ"الموجه الجديدة للسينما الفلسطينية"، في نهاية السبعينيات ومطلع الثمانينيات ومن أوائل السينمائيين الفلسطينيين كانت المخرجة الفلسطينية "مي المصري" من خلال فيلمها "تحت الأنقاض"، وهو فيلم تسجيلي طويل يتعرض للإجتياح الصهيوني عام 1982. من هنا تنبه السينمائيون إلى ضرورة صياغة سينما فلسطينية جديدة، تتوازى مع الإتجاهات السينمائية التي ظهرت في الداخل الفلسطيني. من خلال جهود فنانين من فلسطين المحتلة، استطاعوا الخروج للدراسة والعمل في أوروبا وأمريكا، واستطاع البعض توفير الدعم والتمويل من قبل شركات إنتاج سينمائي وقنوات تلفزيونية أوروبية.

ومن السينمائيين الذين برزوا في فلسطين منذ الثمانينيات نذكر منهم: علي نصار في فيلمه "مدينة على الشاطئ" 1985، ومن الأفلام التي ظهرت في إطار الانتفاضة الكبرى، نجد: فيلم "يوميات فلسطينية" عام 1991، وهو نتاج ورشة عمل استمرت ستة أشهر، نظمتها "مؤسسة القدس للإنتاج السينمائي"، كما أسّس المخرج "صبحي زبيدي" لمشروعه السينمائي حيث قدم بداية فيلمه "خارطتي الخاصة جداً" 1998، ثم "نساء في الشمس" 1999.

قدم "إيليا سليمان" فيلمه الروائي الطويل الأول "سجل اختفاء" عام 1996، ومن ثم فيلمه "يد إلهية" 2001، والحائز جائزة لجنة التحكيم الخاصة من مهرجان كان السينمائي الدولي عام 2002، وأوسكار أفضل فيلم أجنبي في أوروبا، وأثار عاصفة من الانقادات والرفض من قبل لجنة القبول في مهرجان أوسكار للعام 2003. أمّا المخرج "رشيد مشهراوي" فقد صنع بدوره العديد من الأفلام، التي كان أولها "جواز سفر" عام 1986، بعد أن أسّس "رشيد مشهراوي" شركة "أيلول للإنتاج التلفزيوني والسينمائي، وفي العام 1996 أسّس رشيد مشهراوي "مركز الإنتاج السينمائي" في رام الله.[1]

وبذلك يمكن تقسيم أجيال وفترات السينما الفلسطينية إلى :

- الجيل الأول: 1967 - وحدة التصوير/ جماعة السينما الفلسطينية
- الجيل الثالث: 1979 - سينما المهجر/ سينما فلسطينية المستقلة
- الجيل الثالث: 2000 - السينما الفردية / سينما الشخص الواحد[2]

وظلت القضية الفلسطينية وأزمة اللاجئين والعمال والفدائيين والتهجير الممنهج من قبل المحتل الغاشم للشعب الفلسطيني من أراضيهم؛ هو بمثابة المحور الأساسي في أفلام السينما الفلسطينية، والتيمة الأساسية التي تم رصدها من خلالها في السينما العربية، وذلك من خلال عدة أفلام نذكر منها فيلم "باب الشمس" عام 2004 للمخرج يسري نصر الله، والذي تناول قضية تهجير الفلسطينين من موطنهم ورصد صور التنكيل بالشعب الفلسطيني المضطهد والمهجر. حتى أصبح مفهوم الهوية القومية والمقاومة مفهوماً مثاراً بصورة متكاملة، وبشكل متزايد مع زيادة وتيرة الأحداث السياسية وأشكال الاحتجاج العفوي الشعبي الفلسطيني على الوضع العام المزري بالمخيمات، والانتفاضات الشعبية في كامل الأراضي المحتلة، وأصبحت القضية الفلسطينية من القضايا الجدلية والقابلة للمناقشة في السينما العربية، ومن هنا كانت السينما أداة هامة للرد على إهانة الشعور القومي والقمع اليومي الذي تمارسه سلطات الاحتلال ضد كل عربي.

في هذه الدراسة سنتناول نوع من التحليل الوصفي لأعمال اثنين من المخرجين السينمائيين الفلسطينيين المتميزين وهما المخرج "ميشيل خليفي" والمخرج "إيليا سليمان"، والّذان قدّما مجموعة من الأفلام العربية عبرت عن هويتهم من منظورهم الشخصي وارتحلوا مع وطنهم الجريح خلال كاميرا أفلامهم، معبرين عن معاناة الشعب الفلسطيني بطرق درامية تراجيدية أحيانا وبطرق ساخرة أحيانا أخرى، وذلك من خلال طرح رؤاهم الفكرية والمضامين الفلسفية وأساليبهم الفنية والسينمائية في ثنايا أفلامهم، وبهذا عملوا على إثراء مكتبة السينما العربية، وإهدائها أفلام هي بمثابة متناً سينمائياً متكاملاً في بنيانه وجديداً في صياغته، يمكن ربطه بما نسميه بـ "أسلوب المخرج في السينما" بوصفه "مؤلفًا" وصاحب رؤية إبداعية وحامل

مشروع فني، يتعامل مع الفن السابع كفنّ له سمات اجتماعية واضحة جعلت من هذا المتن السينمائي العربي الذي امتد إنتاجه طوال ما يربو من قرن من الزمن، فاعلية إبداعية تمارس تأثيرها الفعال في الذهنيات الاجتماعية لدى أجيال عديدة من المجتمع العربي، والذي وصل أيضا لغير العربي في محاولة لإجتياز حاجز اللغة واختلاف الهويات والأيديوجيات، مستعينين باللغة السينمائية الممتعة والصالحة لتلقيها من جميع الأجناس الإنسانية.

المخرج (ميشيل خليفي - Michel Khleifi)

1. السيرة الذاتية:

مخرج فلسطيني، ولد في الناصرة عام 1950، في سن الرابعة عشر اضطر لمغادرة المدرسة والعمل في مرأب سيارات للمساعدة في إعالة العائلة. بدأ يهتم في الفن المسرحي أثناء جيل المراهقة وغادر إلى بلجيكا عام 1970 لدراسة المسرح. تخرج عام 1977 من معهد المسرح والسينما في بروكسل، اشتغل في المسرح وأخرج أعمالا تلفزيونية ، عام 1978عمل في التلفزيون البلجيكي حيث قام بتصوير بضعة تقاريرعن الأراضي الفلسطينية المحتلة. في عام 1980 عاد إلى الناصرة لتصوير فيلمه الطويل الأول "الذاكرة الخصبة" الذي مزج فيه بين الأسلوبين الوثائقي والروائي. في عام 1987 أخرج فيلمه الروائي الطويل الأول "عرس الجليل" ، وقدم العديد من الأفلام التسجيلية والروائية ، يعمل حاليا في التدريس بمعهد السينما والمسرح .

2. فيلموجرافيا أفلام المخرج ميشيل خليفي:

- الذاكرة الخصبة - 1980
- معلول تحتفل بدمارها - 1985
- عرس الجليل - 1987
- نشيد الحجر- 1990
- حكاية الجواهر الثلاثة - 1994
- الزواج الممنوع في الأرض المقدسة - 1995
- لطريق 181 - 2003
- زنديق - 2009

يُعتبر "خليفى" رائد السينما الفلسطينية المستقلة، حيث حاز فيلمه الروائي الأول "عرس الجليل" على عدد من الجوائز الدولية، منها جائزة "الصدفة الذهبية" في مهرجان سان سبستيان، وجائزة الاتحاد الدولي للصحافة السينمائية "الفيبريسي" في مهرجان كان عام 1987، وجائزة "التانيت الذهبية" في مهرجان قرطاج عام.

كما يُعد "ميشيل" من أكثر المخرجين اهتماما بقضية الأرض والوطن، ونال تكريم فى العديد من المهرجانات الدولية، حيث تم منحه "الصف الأول من الوسام الوطني للاستحقاق في قطاع الثقافة، تقديرًا لتميز أعماله السينمائية، ولإسهاماته الفنية القيّمة في خدمة القضايا العادلة."

ولقد برز اسم المخرج الفلسطيني "ميشيل خليفي" بشكل قوي على الساحة السينمائية في العالم، مع عرض فيلمه "الذاكرة الخصبة" في مهرجان قرطاج السينمائي عام 1980، حيث فاز بجائزة النقاد العرب، فقد كان الفيلم اكتشافا حقيقيا لموهبة مخرجه مواليد الناصرة عام 1950.[3]

فيلم «الذاكرة الخصبة - Fertile Memory» 1980

- تصنيفه : روائي/ تسجيلي – 16 مم – 99 دقيقة
- سيناريو : ميشيل خليفي
- إخراج : ميشيل خليفي
- إنتاج : مارينز فيلم

كُتب الفيلم عام 1978 ، يعد أول فيلم يقدمه مخرج فلسطيني من داخل إسرائيل قبل حدود عام 1967.

3. أسلوب المخرج في فيلم «الذاكرة الخصبة» :

فيلم «الذاكرة الخصبة» كان أول أعماله، عرض فيه جوانب تتعلق بالمرأة الفلسطينية، وبوجودها الإجتماعي، وبرموزها النضالية التي لا نعرف عنها سوى صور المظاهرات في الأفلام التوثيقية الأخرى.

حاول المخرج أن يصور حياة امرأتين فلسطينيتين وطريقة معايشتهم للحياة نفسها، واكتفي بدعم البيئة سنداً له، وبفهمه لها ولتواصله مع هاتين المرأتين اللتين كان يعرفهما في الواقع ، فشخصية "رومية" هي خالته في الحقيقة وشخصية "سحر خليفة" مناضلة فلسطينية ، لم تقف سابقاً أمام أي كاميرا أو على خشبة أي مسرح. يدلف بهما في مواقف فيها إدارة سردية، لكنه لا يتخلى قيد أنملة عن الحس الواقعي - الحقيقي للحياة اليومية، وينجب لحساب فن السينما ما يمكن أن نسميه سينما المعايشة. وطريقته في ذلك مزج التسجيلية بالمواقف السردية المطلوبة من دون دراما، ومن دون أن يؤثر ذلك على الصورة السينمائية المستخلصة.

ينتقل الفيلم بين الشخصيتين في بلاغة بصرية آخاذة، خاصة وهو يربط طوال الوقت، بين الإنسان والأرض، مؤكدا على أن قضية فلسطين هي قضية ترتبط بالأرض في الأساس، كما ترتبط بالهوية وبالتاريخ والتقاليد.

يقول ميشيل خليفي "صوّرت ما أحب: المرأة هي أساس الفيلم وتداعيات ذاكرتها هي التي ترسم التجربة الإنسانية الفلسطينية، في حين أنّ خطاب الرّجل مبنيّ على الهرمية الرّجولية بشكل سلطوي". إنه لا ينتقد ولا يدين، لكنه يدعم فكرة الوعي بدلا من النضال المسلح.[4]

4. قصة الفيلم:

تدور أحداث هذا الفيلم حول شخصيتين حقيقيتين في الواقع. لكن حقيقتهما كمادة جوهرية تتبع البيئة ذاتها حيث كل ما حولهما هو حقيقي واقعي، وفيه طعم الحياة اليومية، جمال تلك الحياة وبساطتها المنشرحة. السيدة الأولى (فرح حاطوم) امرأة متمسكة بحقها في الأرض التي صادرها الجيش الإسرائيلي والتي يعرض الآن تسوية المسألة عبر شرائه لها. والسيدة الثانية (سحر خليفة) امرأة متمسكة بنضالها في سبيل مجتمع أفضل. في الاثنين ثورة واحدة. التعبير عنها هو الذي يختلف: السيدة الأولى ترفض بيع الأرض بعناد شديد، وبدعوة الثانية لانتفاضة المرأة العربية على نفسها أولاً، وعلى التقاليد التي من حولها.

ولا يبدو أن هاتين الشخصيتين لديها روابط غير عادية مع الواقع المحيط بهما، هذا باستثناء تلك الهمسات الحزينة، والتعابير الجادة والمستكينة في كل منهما. لكن يصل الفيلم فيما بعد إلى ذروة الأحداث والذي من عليه تتصاعد المواقف السياسية ثم تتدفق العاطفة في ثنايا الفيلم. هذا التدفق لا يرفع شعاراً بل يعلن قضية إنسانية لا نزاع فيها مهما اختلفت التفسيرات حولها أو المواقف.

والكاميرا في الفيلم هي من جملة الأشياء الصامتة في المكان. كاميرا خفية لا تبدو مطلقاً متداخلة ولو أن هناك ترتيباً معيناً لبعض مشاهدها بدت فيه مذكرة بوجودها.

يعد فيلم «الذاكرة الخصبة» أحد الأفلام العربية التي جعلت المرأة الموضوع والمحور فقط بل الكيان كله. إنها التماثل الذي يحن إليه الرجال: المرأة - الأرض، والمرأة - الأم. هذا التماثل مسنود بأسلوب من السرد الهادئ، بلقطات طويلة للأرض، وبحس خال من التلفيق. إنه فيلم أخاذ في صدقه وجمال طبيعته (الطبيعتان: طبيعة الفيلم وطبيعة البيئة والحياة التي ينقلها) جاء في فترة كانت امتلأت بالأفلام الحماسية التي اشترت عواطف المشاهدين بأبخس الأسعار. الإنتاج ليس عربياً، لكن الفيلم عربي بأحاسيسه وبرؤية مخرجه مروراً بشخصياته. كذلك بمكان تصويره وبمواقفه وبطروحاته وأفكاره.[5]

صور توضح لقطات ومشاهد خاصة بفيلم "الذاكرة الخصبة - 1980":

شكل (1) لقطة من فيلم «الذاكرة الخصبة» 1980، سيناريو وإخراج ميشيل خليفي، يشير ميشيل الى السيدة فرح حاطوم التي ترفض بيع أرض أجدادها وفي لمحة شاعرية تنظر إلى الحقول الصفراء، وقد وقفت بجانب أرضها وكأنها جزء أصيل لا ينفصل عن هوية هذه الأرض. وإذا تصورنا عدم وجودها لاختل توازن المشهد السينمائي فهي تعدل المساحات الخضراء التي تظهر في عمق المشهد.

شكل (2) لقطة من فيلم «الذاكرة الخصبة» 1980، سيناريو وإخراج ميشيل خليفي، ويظهر في هذه اللقطة إحدى البيوت الفلسطينية القديمة المصنوعة من الحجر والتي تحتفظ بعراقة هويتها في طريقة بنيانها وفتحات الأقواس والنوافذ، في إشارة الى تراث هذه البلدة فكيف أن يزيلها محتل أو ينفي عنها هويتها وهي ضاربة في أعماق المكان بصلابتها وتراثها وأصالتها.

فيلم «عُرس الجليل - Wedding in Galilee» 1987

- تصنيفه : روائي طويل – 35 مم – 100 دقيقة
- سيناريو : ميشيل خليفي
- إخراج : ميشيل خليفي
- إنتاج : شركة ماريزا فيلم بالإشتراك مع LPA (باريس) ، (بلجيكا) ، تليفزيون ZDF (ألمانيا).

جدير بالذكر أنه تم الإشادة بفيلم «عرس الجليل» عندما صدر عام ١٩٨٧ كأول فيلم روائي فلسطيني طويل يصنعه فلسطيني. ميشيل خليفي وهو ذاك العربي الفلسطيني الذي يعيش في بلجيكا، الفيلم تم تصويره في خمس قرى مختلفة في فلسطين؛ ثلاث في الجليل بالقرب من الناصرة (مسقط رأس خليفي) واثنتين في الضفة الغربية. ورغم أن قصته خيالية، فإن الفيلم يجسد الصراعات الثقافية بين الفلسطينيين والإسرائيليين ونزاع الهوية التي تستمر في إذكاء التوتُّرات في تلك المنطقة من العالم، وتنفجِر على هيئة العنف المُتكرِّر الذي نراه اليوم.

فاز فيلم «عرس الجليل» بجائزة النقاد الدوليين في مهرجان كان وحصد إشادة عالمية. لم يُعرَض الفيلم على نحو تجاري في إسرائيل، حيث أتى العرض الوحيد لتوزيعه من موزع أراد حذف ٢٠ دقيقة من الفيلم واختصار عنوان الفيلم لكلمة «العرس» فقط. وبينما عُرض الفيلم بنجاح في مصر، فإنه مُنع في معظم دول الوطن العربي الذي صُدِم بالعري الأُنثوي والتصوير غير الجذاب للرجولة العربية. وعلى الرغم من ذلك، ففي العصر الحالي للفيديو والوسائط الرقمية، أصبح الفيلم يُعرض على نحو سري في نوادي السينما والبيوت. وبعد صدور الفيلم بأشهر قليلة، بدأت الانتفاضة الفلسطينية الأولى ضد الاحتلال الإسرائيلي، وانتشرت في غزة والضفة الغربية والقدس الشرقية، واستمرت من عام ١٩٨٧ وحتى عام ١٩٩٣.

1. قصة الفيلم :

نشأت فكرة فيلم خليفي من خلال حدث له صلة به يتعلَّق بحفل زفاف عم شقيق زوجته. لكن معظم القصة اختلَقَها المُخرج لأسباب خاصة بالاقتصاد الرمزي من أجل «جمع أربعين عامًا من التجربة والتاريخ الفلسطينيَّين في موقف واحد» على وجه الدقة، فإن الحدث غير دقيق تاريخيًّا. فعكس الضفة الغربية وغزة، لم تعد منطقة الجليل التي تُوجد في شمال إسرائيل تحت الحكم العسكري. كان الفلسطينيون في الجليل يخضعون لحكم قوانين الطوارئ المأخوذة عن البريطانيين حتى عام ١٩٦٥، لكن المنطقة أصبحت منزوعة السلاح بعد حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧. لكن خليفي كان مهتمًّا بنوع من آخر من الحقيقة. لم يكن فيلمه دعاية سياسية أو درسًا في الأعراق - رغم أنه يعرض واقعًا سياسيًّا وثقافيًّا وتراثيًّا؛ بل هو «نوع من الفلكلور الحديث». وكما يُفسِّر خليفي: «أردت إكساب الزفاف دلالة خرافية وصنْع موقفٍ خرافي من الحياة اليومية» ربما يجد المُشاهِدون رسائل رمزية في بعض المشاهد: جواد عربي محصور في حقل ألغام، وجندية تُغيِّر ملابسها العسكرية وترتدي فستانًا عربيًّا.

وُصِف فيلم «عرس الجليل» بعدة صفات؛ منها أنه فيلم شاعري، وينتمي إلى المدرسة الواقعية الجديدة، وتأمُّلي وغرائبي، صفات تُشير إلى أسلوب الفيلم الجمالي وتحدِّدِ الخيارات السينمائية في (الإضاءة والتصوير والصوت واللون والمونتاج والتمثيل) التي ساهمت في الأثر العام للفيلم.[6]

قدم ميشيل انتقاداً لاذعاً لسلبيات مجتمعه وتمسّكه بالعادات البالية التي تقتل الروح وتجعل الدوران في الوضع الراهن سببا إضافيا للتفوّق الصهيوني. وسط هذا الجو المشحون يبدأ الحفل ويستمر حتى الصباح، ويصوّر خليفي ما يدور في الداخل من مشاحنات وصراعات تعكس التناقضات الكامنة في المجتمع الفلسطيني: من خلال شخصية "المختار" في تعامله الخشن مع ابنه، رغبة الأب الأنانية التي تتناقض مع آراء شباب القرية الذين يرونها دعوة للأعداء، مقاطعة شقيق "المختار" الحفل

بسبب حضور الإسرائيليين، هذا التوتر ينعكس على الابن ويؤدي الى عجزه عن القيام بواجب الزوج تجاه عروسه، وما يترتب على ذلك من تداعيات واتهامات وتشنّجات لها علاقة بالموروث المتخلّف في مجتمع ذكوري وانعكاسات ذلك على العلاقة بين الرجل والمرأة، والتشبث بحلول سلبية.

2. الأسلوب الفني لتكوين الصورة السينمائية في "عرس الجليل" 1987:

يهتم المخرج بتقديم صورة أخرى مغايرة للفلسطيني التقليدي، أي المقاوم للإحتلال، والذي يذوب في الجماعة، ينكر ذاته من أجل القضية، يبدو دائما مثل البطل الإيجابي في أفلام "الواقعية الاشتراكية" السوفييتية، خاصة في الأفلام الفلسطينية التي ظهرت بعد 1967. ففي فيلمه "عرس الجليل" يطمح خليفي إلى تقديم عمل سينمائي ملحمي، يبرز دور الثقافة والتقاليد الشعبية الفلسطينية، ويصوّر الصمود اليومي للإنسان الفلسطيني في مواجهة الاحتلال على مستوى شاعري رومانسي محمّل بالإسقاطات السياسية، ولكن من خلال التأكيد على الإنسان الفرد، همومه وتطلعاته، وفي الوقت نفسه. ورغم ذلك يحرص "ميشيل" على إبراز الطابع الثقافي الفلسطيني الأصيل متمثلًا في العادات والتقاليد الإحتفالية والأزياء والطقوس الخاصة باحتفالات العرس، وقدرة التراث الفلسطيني على ابتلاع الغريب القادم من الخارج.

"ميشيل" يجمع بوضوح في فيلمه بين القمع والعجز عن الخروج من المأزق الفلسطيني، أي بين خضوع الفرد للتقاليد العتيقة في مجتمع بطريركي قمعي، وبين عجز حركة "الكفاح المسلّح" عن تحقيق الهدف المنشود، مشيرا إلى استحالة تحقق الهدف الثاني دون أن يتحقق الهدف الأول. ففي فيلم "عرس الجليل" ينقب خليفي في الموروث ولكنه يعلي من شأن التراث.[7]

وفي حوار أجري مع المخرج "ميشيل خليفي" حول الفيلم ، يقول : يجوز بشكل غير مباشر . السيناريو كتب سنة 1984، وتم تصوير الفيلم في سنة 1986، وعرض في مهرجان كان سنة 1987. طبعا طرد المقاومة الفلسطينية من لبنان أثر علينا جميعا . وأضفنا هزيمة جديدة إلى هزائمنا . وولدت أزمة وأسئلة جديدة عن إمكانية استمرار الحركة الوطنية الفلسطينية. دخلنا في فترة ضياع، وبدت لنا الأشياء كأنها انهارت كقلاع من الرمال. بقي لنا الصراع الثقافي الذي يحاول الغوص بأسباب الهزيمة، فجاء ردي بكتابة وإنجاز "عرس الجليل"، الذي يحكي عن مختار قرية يريد الاحتفال بزواج ابنه رغم وجود القرية بحالة حصار ومنع التجول الذي يفرضه الجيش الإسرائيلي. فيجد نفسه مرغماً على دعوة الحاكم العسكري وضباطه إلى حفل الزواج!

كتبت السيناريو على أسس بنية المأساة الإغريقية. فمقدمة المأساة هو تحدي بين مختار القرية (أي الأب البطريركي) والحاكم العسكري (أي سلطة القوة والموت). فهذا الأخير يعلن للأب:" لن تستطيعوا أن تفرحوا دون إذن منا" هذا التحدي يدفع الشعب ليصبح البطل الحقيقي، ويأخذ زمام المبادرة، ليعيد توجيه دفة التاريخ في نهاية الفيلم يخرج الناس ويطردون الجيش الإسرائيلي من القرية.[8]

حرص "ميشيل" على إبراز الهوية الفلسطينية والطابع الثقافي الفلسطيني متمثلا في العادات والتقاليد الاحتفالية والأزياء والطقوس الخاصة باحتفالات العرس، وقدرة التراث الفلسطيني على ابتلاع الغريب القادم من الخارج. فيلم "عرس الجليل" هو نشيد فرح للإنسان في فلسطين: الطفل، المرأة، العروس، العريس، الهوية الفلسطينية، الفضاء والزمن الفلسطينيين. أراد المخرج فيه بالقيام بعمل سيمفوني، وأوبرا جماعية. تحية منه للشعب الفلسطيني المتمسك بتراثه وقيمه وعاداته، ويرمي الفيلم إلى معانى أكثر عمقاً لمفهوم الوطن المسلوب والعاجز عن استرداد حقه، والحامل في طياته مضامين فلسفية غاية في الخطورة، فهمها المشاهد العادي ووصلت للمتلقي بكل مستوياته.

صور توضح لقطات ومشاهد خاصة بفيلم "عُرس الجليل Wedding in Galilee - 1987":

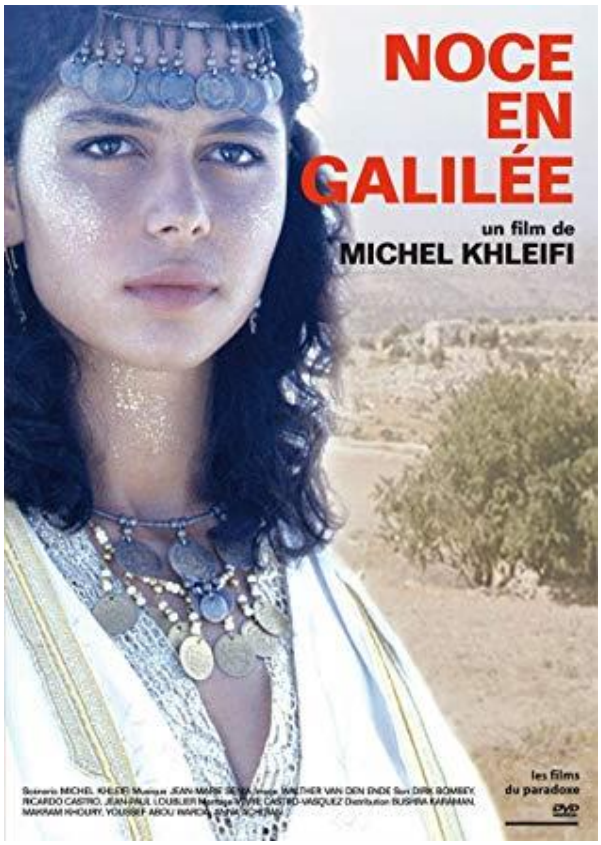

شكل (3) الملصق الإعلاني لفيلم «عُرس الجليل» 1987، سيناريو وإخراج ميشيل خليفي

شكل (4) لقطة من فيلم «عرس الجليل» 1987، سيناريو وإخراج ميشيل خليفي، هذه اللقطة توضح مظاهر الإحتفال بالعُرس الفلسطينية وقد تزينت العروس بالأزياء التقليدية للزفاف والمعد باللون الأبيض ويتكون من جلباب أبيض وعليه عباءة مفتوحة من الأمام، ومشدو حول الخصر نطاق مذّهب تدلى منه دلايات صغيرة ، وهذا النطاق للدلالة على الشرف والعفة لدى الفتاة، وتحلت بحلي الرأس والأقراط والأساور الذهبية، وتزف العروس النساء الفلسطينيات المرتديات للجلباب الفلسطيني والحاملات لشموع الزفاف.

شكل (5) لقطة من فيلم «عُرس الجليل» 1987، سيناريو وإخراج ميشيل خليفي، توضح هذه اللقطة وضع السيف العربي على رأس العروس ، كأحد الرموز الدالة على طاعة الزوجة لزوجها وأهلها وعدم الخروج عن الطوع، وهي عادة من الأعراس التراثية في فلسطين.

شكل (6) لقطة من فيلم «عرس الجليل» 1987، سيناريو وإخراج ميشيل خليفي، هذه اللقطة توضح مظاهر الإحتفال بالعروس في بيت أبيها، وإبراز الطابع الثقافي الفلسطيني الأصيل متمثلًا في اجتماع النساء وسيدات الدار كالجدة والعمة والخالة حول العروس وقد أمسكت الأم بعنقود عنب لتهديها للعروس لتضعها أمام منزلها للفأل الحسن، كأحد العادات والتقاليد الإحتفالية والطقوس الخاصة بالفلسطنيين.

شكل (7) لقطة من فيلم «عرس الجليل» 1987، سيناريو وإخراج ميشيل خليفي، هذه اللقطة توضح إحدى طقوس الفلسطينين في الأعراس وذلك بتقديم التمر للعروسين كأحد العادات التقليدية للإحتفال بالعُرس، وقد بدت العروس بإحدى الأزياء الفلسطينية الخاصة بمنطقة أهل الخليل وقد ارتدت حلة تختلف عن تلك التي ظهرت بها سابقًا، وبجوارها العريس الذي يرتدي الجباب المطرز والعباءة المقصبة طوليًا، ويجلسان على إحدى الأرائك المصفوفة بالزرابي ويزين خلفية العروسين سعف النخيل وتحيطهم ستارة حمراء تبعث بالدفء والمودة على المشهد الطقسي.

المخرج (إيليا سليمان - Elia Suleiman)

1. السيرة الذاتية :

إيليا سليمان (ولد 28 يوليو 1960، الناصرة) هو مخرج أفلام وممثل سينمائي فلسطيني. في سن 17 عاما اعتقلته قوات الأمن الإسرائيلية بينما كان في تل أبيب وطلب منه الاعتراف بعضويته في منظمة التحرير الفلسطينية، رفض إيليا ذلك وبعد هذه الحادثة بمدة قصيرة هاجر إلى لندن ومن ثم إلى فرنسا حيث أقام عاما عاد بعده إلى إسرائيل. بعد أن أقام في الناصرة لعدة سنوات أبدى فيها اهتماما في السينما هاجر ثانية إلى نيو يورك عام 1982 حيث أقام لمدة 12 عاما. في عام 1994 انتقل للعيش في القدس حيث علّم في جامعة بيرزيت. وقد تم تعيينه لتأسيس قسم الأفلام والميديا في الجامعة بتمويل من المفوضية الأوروبية كما أنه كان محاضرا زائرا في جامعات مختلفة في العالم. وحصل على جوائز من مهرجانات دولية منها جوائز الأوسكار 2003.

2. فيلموجرافيا أفلام المخرج إيليا سليمان:

- (لا بد أنها الجنة) It Must Be Heaven 2019
- (7 أيام في لاهبانا) 7días en La Habana (segment "Diary of a Beginner") 2012
- (الوقت المتبقي) The Time That Remains (writer) 2009
- (يد إلهية) Yadon ilaheyya 2002
- (سايبر فلسطين) Cyber Palestine (writer) 1999
- (سجل إختفاء) Chronicle of a Disappearance 1996
- (حرب الخليج) Harb El Khalij.. wa baad (Documentary) 1993

3. نبذة عن أعماله السينمائية :

أشهر أعماله فيلم يد إلهية (2002) الذي فاز بجائزة لجنة التحكيم بمهرجان كان عام 2002. يقارن البعض أعماله بأعمال المخرج جاك تاتي* وباستر كيتون** ، يقول عن نفسه : "لا أستطيع الهروب من وطني، ولا أستطيع العيش فيه، مهما ارتحلت ستطوف روحي بين أَزِقَّة الناصرة، إلى أن أعود، فالعالم كله فلسطين"، رسالة بليغة أوصلنا إليها إيليا سليمان، مُقَاوِما بالسخرية ما لم يستطع فعله السلاح. وكأن سليمان أراد أن يغلف مشاهده بلغة شاعرية ، أن يُذّكِّر نفسه بالوطن في طريقه من الناصرة إلى باريس ونيويورك، المدن التي وقعت فيها أحداث فيلمه "لابد أنها الجنة" - قصة حياته الفعلية - أن الوطن باق في قلوب أبنائه رغم السفر والترحال.

قد تبدو المشاهد التي يرسمها الفيلم الفائز بجائزة الاتحاد الدولي لنقاد السينما (FIPRESCI) لأفضل فيلم في مهرجان كان السينمائي الدولي لعام 2019، غير مترابطة، إلا أنها تشكل جداريات شديدة العبقرية والرمزية، تطرح الكثير من التساؤلات والنقاشات،عن حالات شخصية واجتماعية، وهم فلسطيني موجود فيها بالضرورة، خاصة في الصورة الدعائية التي يظهر فيها إيليا مشابها لأيقونة المقاومة "حنظلة" لفنان الكاريكاتير الفلسطيني ناجي العلي.

فيلم « لا بد أنها الجنة - It Must Be Heaven » 2019

- تصنيفه : روائي طويل – 97دقيقة
- سيناريو : إيليا سليمان
- إخراج : إيليا سليمان
- إنتاج : Zeyno - Possibles Média - Pallas Film - Nazira Films - Rectangle Productions Doha Film Institute (in association with) - ZDF/Arte (in cooperation with) -Abbout Film Productions.

1. قصة الفيلم :

يتنقل سليمان مُلتَحِفًا برداء الحكيم الساخر، الذي يرصد الأحداث صامتا طوال الفيلم، لا ينطق سوى بكلمات قليلة الأحرف وعميقة المعنى: "أنا من الناصرة، أنا فلسطيني"، مدللاً على تعبيرية التعليق بالصمت، التي قد تكون أبلغ أحيانا من أي حديث، تاركا مساحة حرة لعقل المتفرج ليدور حول فهم رمزيات كل مشهد.

أينما يرتحل في منفاه الاختياري (الجنة في مخيلة المواطن العربي) ضجرا من جاره سارق الليمون من حديقته (رمزية إلى إسرائيل)، يجد إيليا نفسه مستغرقا أكثر وأكثر في الواقع العربي والفلسطيني، فهذه دبابات تعبر شوارع فرنسا في يوم الباستيل، وهذه طائرات تحلق في الهواء في باريس ونيويورك، ومواطنون أمريكيون يحملون الأسلحة أينما ذهبوا، حتى الأطفال، إلى رجال الأمن الذين يطاردون فتاة بأجنحة حمامة السلام، وعلى جذعها العاري علم فلسطين، حتى يجهزون عليها، حتى في الأرقام العابرة بين المشاهد "48، 52، 67".

يستحق الفيلم أن يكون علامة من علامات "مدرسة اللاعنف الخطابي"، التي يعد سليمان من أبرز روادها، فهو لا يحمل رسالة سياسية بمعناها التقليدي، وأحزانها وانفعالاتها المبالغ فيها أحيانا، بل يجتاز ذلك إلى رمزية السخرية كسلاح أقوى في معركة الهوية، فها هنا نجد تحذيرا من قارئ بطاقات التارو بأن الدولة الفلسطينية لن تُرى في حياة بطل الرواية، وآخر في بار بنيويورك يحكي أن الجميع يسكر لكي ينسى، غير أن الفلسطينيين يسكرون ليتذكّروا، وعلى الجانب الآخر يرقص الشباب في ملهى ليلي على أغنية "أنا عربي"، في إسقاط شديد الوضوح على تغير واقع الهوية لدى أبناء شعوبنا.

يعود سليمان إلى الناصرة، وقد اكتملت في ذهنه الصورة، العالم كله فلسطين، إن لم يكن بوضعها فبحال شعوبها، أما الواقع فهو أكثر سخرية من الفكاهة أحيانا، ومهما حاولنا أن ننسلخ عن الوطن، فهو باق في قلوبنا وعقولنا بقاء أشجار الزيتون.[9]

2. أسلوب المخرج إيليا سليمان ورؤيته في أفلامه :

يمكن ربط غياب الكلام في أفلام سليمان بحقيقة أن سينماه لا تؤمن بالحوار وتحرص بالتالي على تصوير فقدان الصلة بين البشر. ولكن لديه نظرة أخرى للموضوع لتبرير هذا الغياب. يقول: "لم أتابع دراسات أكاديمية، وكوني لم أدرس تاريخ السينما كما يفعلونه في المعاهد المتخصصة، فدخلتُ المجال السينمائي بالسذاجة نفسها التي كانت عند رواد السينما عندما قاموا بأعمالهم الأولى. الحقيبة الثقافية التي امتلكتها من خلال عبوري للثقافات، أدت إلى أن تتحول عملية تحقيق الفيلم إلى مسألة معقدة. فلأجل الوصول إلى البساطة التي يراها المُشاهد على الشاشة، يجدر المرور في عملية جدّ معقدة".

في واحد من أذكى مَشاهد الفيلم الذي يختزل الكثير من المعاني، نرى الممثّل غايل غارثيا برنال* يقدّم سليمان لإحدى المنتجات قائلاً لها: "هذا إيليا سليمان، مخرج فلسطيني لكن أفلامه طريفة". هذا المشهد يرسم وظيفة محددة: التعبير عن صورة الفلسطيني في المخيال الغربي. فكيف لرجل وفنّان صاحب قضية أن يتحدّث عن أي شيء سواها، هكذا يراه الغرب. في المشهد هذا، يقول سليمان ما يتوقّعه الآخر منه. توقّعات تثقل كاهله منذ بداياته.

الناس في الغرب لم يفهموا كيف أنه في إمكان الفلسطيني أن يضحك. سليمان يتفهّم هذا، ولكن يعتبر "الضحك نوعاً من المقاومة"، العبارة التي يكرّرها مراراً. الفكاهة في نظره تخلق مساحة شعرية بيننا وبين مَن يقمعنا. حيث يغوص سليمان في جذور الفنّ السينمائي خالقاً مساحة شعرية بينه وبين المُشاهد، مستخدماً عوامل الضحك الرصين والسخرية والكوميديا السوداء كحزام أمان يخوله عبور الحواجز بكل اطمئنان ومن دون عراقيل تُذكر.[10]

3. أسلوب الفني للمخرج إيليا سليمان في صناعة أفلامه :

يعبر إيليا عن هويته في صناعة أفلامه قائلاً: "طريقتي في صناعة الأفلام هي أشبه بالرسم، مع أنني لا أجيده، بمعنى انني أتخيل الفيلم كمعرض فني يحوي قرابة مائتي لوحة بعضها غير مكتمل أو حتى غير مرسوم، وتتنقل بهذه اللوحات من مكان إلى آخر لتعبئة الفراغات البيضاء، أي أنني لا أصنع أفلامي وفق ما يعرف بالسرد الأحادي .. ما أصنعه أشبه بالإسفنج، بحيث أمتص التجربة المحيطة بي، والجو السياسي الاجتماعي من حولي".

يضيف قائلاً: "ما يهمني الصورة، التي من خلالها تحدث حالة من المشاركة ما بين المُشاهد وما بين الفيلم، لذلك أطرح أسئلة كثيرة عبر الصورة لعدم رغبتي في تقديم المحاضرات".[11] وهكذا نجد أن إيليا يبتعد عن الشعارات المباشرة والمنمقة والمشاهد التقليدية المألوفة التي درجت السينما الفلسطينية على إبرازها في أفلامها، فهو ينتمي للرمزية في معالجته لحالة أو شعور يشعر به ويحاول تجسيده من خلال الصور الطويلة والثابته أحيانا والخالية من الحوار، فهو يرى في الصمت لغة أبلغ من كثير من الحوارات المقروءة في الروايات والتي هي عمل أدبي بحت، لذا هو لا يفضل الحديث عن فكرته من خلال حوار بين الشخصيات ولكن باستخدام جماليات الصورة السينمائية وتتابعها فهو يستمتع كثيرا بتتبع الكاميرا لشخصيات فيلمه، ورصد تحركاتهم البطيئة والصامتة والرامية لمعاني يريد التأكيد عليها كما يدفعم للحديث بتلقائية وعفوية عن أحلامهم الصغيرة، كما إنه يكرر اللقطة الواحدة مرارا أملاً منه في تخفيف وطئة الواقع المرير والخروج من أحداثه بسخرية مقصودة يلتقطها المشاهد فيضحك على واقعه بدلاً من البكاء والتأثر.

4. الأسلوب الفني لتكوين الصورة السينمائية في أفلامه :

يتملك إيليا دوماً شعور بالعزلة في أفلامه لشعوره بالغربة عن وطنه في حله وترحاله. عبر عن ذلك الشعور في مجالَي التكوين السينمائي والصوت، فهناك إيقاعات و"ضربات" جدّ محدّدة، ولا نجد فيها أي فوضى. يعمل سليمان لبناء نظام

إيقاعي في الصورة. والممثّلون الثانويون في أفلامه، ليسوا بالضرورة شخصيات ذات سيكولوجيات معينة بل هم بمثابة عناصر يخلقون نوعاً من الحركة في الصورة تشبه الرقصة. جزء من رغبة سليمان في السينما هو أن يبتكر نظاماً فيه نوع من الكوريغرافيا*. وباعترافه أنه عندما يمزج ٤ أو ٥ أصوات في الوقت نفسه يصبح لديه تشوش، لذلك لا يحب أن يرى الأمور تتشابك ببعضها بعضاً، ولا يتحمّل رؤية أو سماع الأشياء دفعة واحدة.[12]

وأكّد إيليا قائلا: "ما يهمني هو التركيز على إمكانيات لا نهائية من المتعة في الفيلم"، لافتاً إلى أنه يرى "في المتعة إصرارا على الوجود الفلسطيني"، وأنه "من المهم أن تمنح الصورة المشاهد مساحة ما لاستنباط نوع من الحياة، والمتعة هي أساس الصورة، وهي بالنسبة لي سياسة وطريقة حياة." [13]

صور توضح لقطات ومشاهد خاصة بفيلم "لا بد إنها الجنّة - It Must Be Heaven" 2019:

شكل (8) الملصق الإعلاني لفيلم "لا بد أنها الجنة - It Must Be Heaven" 2019، سيناريو وإخراج إيليا سليمان.

شكل (9) لقطة من فيلم "لا بد أنها الجنة - It Must Be Heaven" 2019، سيناريو وإخراج إيليا سليمان. يُبرز إيليا من خلال تصميم بيته محاولةً تمسك المرء الفلسطيني بهويته التي يطمسها الإحتلال، نراه مازال محتفظاً بمقتنيات أبيه وأمه في خِزانة حجرته، صور الأجداد الشاهدة على ذكريات الأسرة مازلت معلقة على جدران البيت، زجاج النوافذ والمرآة المشهم، حتى عادات الفلسطنيني في تناولهم الطعام والشراب.

شكل (10) لقطة من فيلم "لا بد أنها الجنة - It Must Be Heaven" 2019، سيناريو وإخراج إيليا سليمان، يسير في طرقات المدينة مندهشًا عاقدًا يديه خلف ظهره وكأنه يقتاد إلى الأسر، فالقيد هنا قيد رمزي للتعبير عن حالة القيد التي يعيشها وطنه، وقد استلهم شخصيته المتأملة في الفيلم من شخصية الطفل "حنظلة" لناجي العلي.

شكل (11) لقطة من فيلم "لا بد أنها الجنة - It Must Be Heaven" 2019، سيناريو وإخراج إيليا سليمان، يواصل إيليا سرده البصري الصامت وقد انهكه المسير فيجلس في مقهى ليستريح، فلحقته عناصر الأمن وفرضت عليه سياج أمني قيد حريته في إسقاط واضح لحالة وطنه الأسير.

شكل (12) لقطة من فيلم "لا بد أنها الجنة - It Must Be Heaven" 2019، سيناريو وإخراج إيليا سليمان، يقف إيليا في وضع المتأمل وكأنه يعبر عن قضية عربي تائه الهوية، وكأن كل مظاهر هذه الحضارة لم تسعى لإيجاد حل لقضية وطنه المسلوب.

شكل (13) لقطة من فيلم "لا بد أنها الجنة - It Must Be Heaven" 2019، سيناريو وإخراج إيليا سليمان. يجد إيليا نفسه مستغرقا أكثر وأكثر في الواقع العربي والفلسطيني، فنجد رجال الأمن يطاردون فتاة بأجنحة حمامة السلام تقف بسلام في متنزه سنترال بارك، وعلى جذعها العاري ترتدي قميصا مزينا بعلم فلسطين، حتى يجهزون عليها. ويراقب سليمان بأسى محاولات الشرطة القبض على الفتاة التي لا تحمل سلاحا ، وتعبير عن تأييدها لقضيتهم، وتندد بسياسة الاحتلال في القمع والتشكك والتنكيل بمن يحمل طابعًا فلسطيني، وكأن العالم أصبح متناقضًا في مبادئه يدين بأسره بدين العنف والقمع والعسكرية مدججًا بالسلاح.

النتـائج:

1. يعد حصول الأفلام الفلسطينية على جوائز عالمية؛ شهادة عالمية لها بأنها تتمتع بلغة بصرية متميزة.
2. لم تصبح السينما في السنوات الأخيرة أداة للترفيه والتسلية فقط، بقدر ما أصبحت رسالة موجزة وقصيرة في ساعة أو ساعتين تجمل طرح قضية محورية لهوية الشعوب العربية، ووسيلة إعلامية فاعلة للتنديد بأفعال المحتل وتقديم صورته الحقيقية للعالم.
3. لقد عبر المخرج الفلسطيني من خلال الصورة السينمائية عن الهوية الفلسطينية، وبات جليا تمسكه بوطنه رغم بعده وهجرته القسرية عن موطن رأسه.
4. تمكن المخرج الفلسطيني من طرح قضية الهوية والأفكار الإنسانية في أفلامه، من خلال استخدام الدلالات والرموز داخل الكادر السينمائي، وتوظيف هذه العناصر البصرية بشكل يخدم فكرته ويوصلها للمتلقي.
5. استطاع المخرج الفلسطيني إيصال رؤيته والمضمون الدرامي للفيلم، من خلال العناصر البصرية المستخدمة في تكوين الصورة السينمائية.
6. نجحت السينما الفلسطينية في إيصال قضيتها للعالم أجمع والتعريف بهويتها، وإظهار معاناة الشعب الفلسطيني الأسير، وذلك عبر وصول أفلامها للمهرجانات العالمية، وإنتزاع الإعتراف ضمنيا بقضيتها العادلة.
7. لقد تمكن الفيلم العربي من الحفاظ على الهوية في الذاكرة الفردية للمواطن العربي إلى الذاكرة الجمعية للعرب جميعاً، ممثلاً بذلك ومعبرًا بجلاء عن الهوية العربية للأمة. مما يعمل على إعلاء قيم الهوية في السينما العربية.

التوصيـات:

1. يوصي البحث بضرورة الإعتناء بالقيم التراثية والثقافية ودعم قضايا الهوية في العالم العربي ومعالجتها في السينما.
2. يوصي البحث بتقديم نماذج تعبر عن هوية الشعوب العربية وقضاياها التي يعاني منها كافة المجتمعات العربية.

المـراجـــــع

الكتب العربية:

1. بركات، عنان. الموجة الجديدة في السينما الفلسطينية من الجيل الأول حتى الجيل الثالث بعد النكبة، مدينة القدس: دار الجندي للنشر والتوزيع، 2013.

.1barakat , eanan. almawjat aljadidat fi alsiynama alfilastiniat min aljil al'awal 'iilaa aljil alththalith baed alnakbat , alqds: dar aljindi lilnashr waltawzie 2013.

2. بن بلقاسم، فريد. قضايا الهوية في الإسلام المعاصر. تونس، دار سحر للنشر، 2013.

.2bin bilqasim , farid. qadaya alhuiat fi al'islam almaeasir. tunis , dar sihr lilnashr , 2013.

3. ڤي كوستانزو، ويليام. ت: زياد إبراهيم. م: مصطفى محمد فؤاد. السينما العالمية من منظور الأنواع السينمائية، مؤسسة هنداوي سي آي سي للنشر، ٢٠١٩.

.3fi kwstanzw , wylyam. t: ziad abrahym. m: mustafaa muhamad fuad. alsiynama alealamiat min manzur al'anwae alsiynamayiyat , muasasat hindawi CIC lilnashr , 2019.

المقالات والدوريات :

1. العمري، أمير." ميشيل خليفي: مهموم بصورة الفلسطيني الآخر".جريدة العرب الثقافي، العدد 10199(Feb 28, 2016)، ص16 .

.1aleumri , 'amir. "mishil khlifi: mahmum bisurat alakhr" .jaridat alearab althaqafii , aleadad 10199 (28 fibrayir 2016) , s 16.

2. نصير، إيزيس."حوار مع المخرج السينمائي الفلسطيني ميشيل خليفي".جريدة جدلية الإلكترونية، هذه المادة هي جزء من ملف خاص حول نكبة فلسطين بعنوان "كبرت النكبة"، (سنة النشر: May 16, 2015)، رابط المقال : https://www.jadaliyya.com/Details/32089

.2nasir , 'iizis. "hwar mae almakhraj alsiynamayiyi alfilastinii mishil khilifi" .jaridat jadliat 'iiliktruniat , almadat hi juz' min milafi khasin hawl nukbat filastin bieunwan "kbirt alnakbat" , (snat alnashr: 16 mayu 2015) rabt almaqal: https : //www.jadaliyya.com/Details/32089

3. هاشم، محمود." إيليا سليمان..عن «حنظلة السينما» وفلسطين الباقية في السكن والترحال".جريدة الشروق، (الإثنين2 ديسمبر 2019)، رابط المقال: https://www.shorouknews.com/news/view.aspx

.3hashim , mahmud. "'iylya siliman..ean<< hanzilat alsiynama >>w albaqiat fi alsakan waltarhal .jridat alshuruq , (al'iithnin 2 disambir 2019) , rabt almaqala: https://www.shorouknews.com/news/view.aspx

4. "الذاكرة الخصبة (1980) بداية مشوار ميشال خليفي السينمائي"، جريدة الشرق الأوسط، ملحق السينما ، رقم العدد 14171 (سنة النشر: الجمعة - 24 ذو الحجة 1438 هـ - 15 سبتمبر 2017 مـ)، رابط المقال: https://aawsat.com/home/article/1024321

" .4aldhakirat alkhisba (1980) bidayat mishwar mishal khalifi alsiyinamayiy" , jaridat alshrq al'awsat , malhaq alsiynama , raqm aleadad 14171 (snat alnshr: aljumeat - 24 dhu alhujat 1438 ha - 15 sibtambar 2017 ma) , rabt almaqala: https: // aawsat.com/home/article/1024321

5. الشايب، يوسف. "إيليا سليمان: فيلم إن شئت كما في السماء يتحدث عن عولمة فلسطين". جريدة الأيام ، (بتاريخ 2019-10-04:)، رابط المقال:https://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=13758fdby326471643Y13758fdb

.5alshaayb , yuusf. "'iylya salayman: film 'iin shit madha? jaridat al'ayam , (btarikh: (2019-10-04 , rabt almaqal: https://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=13758fdby326471643Y13758fdb

6. حبشيان، هوفيك. "المخرج الفلسطيني إيليا سليمان يقاوم سينمائيا.. بالسخرية والصمت". جريدة إندبندنت عربية ، (الثلاثاء 9يوليو 2019)، رابط المقال: https://www.independentarabia.com/node/39641

.6hubshyan , hufik. "almukhrij alfilastinii 'iilia sulayman yuqawim sinamayiyaaan .. bialsikhriat walsmt". jaridat 'iindibindant earabiat , (althalatha' 9 yuliu 2019) , rabt almaqala: https://www.independentarabia.com/node/39641

7. يوسف الشريف، محمد. "تكريم ميشيل خليفي رائد السينما الفلسطينية المستقلة في الإسكندرية السينمائي". جريدة الأهرام. رابط الموقع: http://gate.ahram.org.eg/News/1592235.aspx (تاريخ الزيارة: الإثنين 10 فبراير 2020).

.7yusif alsharif , muhamd. "tkarim mishil khalifi rayid alsiynama alfilastiniat almustaqilat fi al'iiskandariat alsynmayy". jaridat al'ahram. rabt almawqe: http://gate.ahram.org.eg/News/1592235.aspx (tarikh alziyart: al'iithnin 10 fibrayir 2020).

---

[1] صناعة السينما الفلسطينية، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية وفا، رابط المقال: https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=9492
sinaeat alsiynama alfilastiniat , wikalat al'anba' walmelwmat alfilastiniat wafa, rabt almaqala: id=9492؟https://info.wafa.ps/ar_page.aspx

[2] بركات،عنان. الموجة الجديدة في السينما الفلسطينية من الجيل الأول حتى الجيل الثالث بعد النكبة، (مدينة القدس: دار الجندي للنشر والتوزيع، سنة النشر 2013)، ص35.
barakat , eanan. almawjat aljadidat fi alsiynama alfilastiniat min aljil al'awal hataa aljil alththalith baed alnakbat , (mdinat alqds: dar aljundi lilnashr waltawzie , sanat alnashr 2013) , s 35.

[3] يوسف الشريف، محمد. "تكريم ميشيل خليفي رائد السينما الفلسطينية المستقلة في الإسكندرية السينمائي". جريدة الأهرام. رابط الموقع: http://gate.ahram.org.eg/News/1592235.aspx (تاريخ الزيارة: الإثنين 10 فبراير 2020).
yusuf alsharif, mahmd. "tkarim mishil khalifi rayid alsiynama alfilastiniat almustaqilat fi al'iiskandariat alsynmayy". jaridat al'ahram. rabt almawqe: http://gate.ahram.org.eg/News/1592235.aspx (tarikh alziyart: al'iithnin 10 fibrayir 2020).

[4] العمري، أمير." ميشيل خليفي: مهموم بصورة الفلسطيني الآخر".جريدة العرب الثقافي، العدد 10199(سنة النشر: Feb 28, 2016)، ص16 .
aleimriu, 'amir." mishil khlify: mahmum bisurat alfilastinii alakhar".jaridat alearab althaqafi, aleadad 10199(sanat alnshr: Feb 28, 2016), s16 .

[5] "الذاكرة الخصبة (1980) بداية مشوار ميشال خليفي السينمائي"، جريدة الشرق الأوسط، ملحق السينما ، رقم العدد 14171 (سنة النشر: الجمعة – 24 ذو الحجة 1438 هـ – 15 سبتمبر 2017 م)، رابط المقال: https://aawsat.com/home/article/1024321
"aldhakirat alkhisbu (1980) bidayat mishwar mishal khalifi alsiynmayy", jaridat alshrq al'awsat, mulhiq alsiynama , raqm aleadad 14171 (snat alnshr: aljumeat - 24 dhu alhujat 1438 ha - 15 sibtambar 2017 ma), rabt almaqala: https://aawsat.com/home/article/1024321

[6] في كوستانزو، ويليام. ت: زياد إبراهيم. م: مصطفى محمد فؤاد. السينما العالمية من منظور الأنواع السينمائية، مؤسسة هنداوي سي آي سي للنشر، ٢٠١٩، ص 317 : ص 320.
vy kwstanzw,wylyam. t: ziad 'iibrahim. m: mustafaa muhamad fuad. alsiynama alealamiat min manzur al'anwae alsiyunmayiyat, muasasatan handawi sy ay sy llnashr, 2019, s 317 : s 320.

[7] العمري، أمير." ميشيل خليفي: مهموم بصورة الفلسطيني الآخر".جريدة العرب الثقافي، العدد 10199(سنة النشر: Feb 28, 2016)، ص16.
aleamriu, 'amir." mishil khilify: mahmum bisurat alfilastinii alakhara".jiridat alearab althaqafi, aleadad 10199(sinat alnshr: Feb 28, 2016), s16.

[8] نصير، إيزيس."حوار مع المخرج السينمائي الفلسطيني ميشيل خليفي".جريدة جدلية الإلكترونية، هذه المادة هي جزء من ملف خاص حول نكبة فلسطين بعنوان "كبرت النكبة"، (سنة النشر: May 16, 2015)، رابط المقال : https://www.jadaliyya.com/Details/32089
nasir, 'iizis."hwar mae almakhraj alsiynamayiyi alfilastinii mishil khilifi".jaridat jadliat al'iiliktruniat, hadhih almadat hi juz' min milafi khasin hawl nukbat filastin bieunwan "kbirt alnakbt", (snat alnshr: May 16, 2015), rabt almaqal : https://www.jadaliyya.com/Details/32089

[*] جاك تاتي (Jacques Tati -) (1907 – 1982) ، ولد في باريس، وكان مخرج سينمائي فرنسي وممثل كوميدي وكاتب.

*(Jacques Tati - jak tati) (1907 - 1982) , wulid fi baris, wakan mukhrij sinamayiyin faransi wamumathil kumidiin wakatib.

**(Buster Keaton - باستر كيتون) (1895 – 1966) ، أمريكي الجنسية ، ممثل كوميدي ومخرج سينمائي ومنتج وكاتب سيناريو. وقد اشتهر بأفلامه الصامتة، وكانت علامته المميزة هي الكوميديا الجسدية وتعابير وجهه الثابتة والجامدة ، نال جائزة الأوسكار الفخرية عام 1959.

**(Buster Keaton - bastir kitun) (1895 - 1966) , 'amrikia aljinsiat , mumathil kumidiun wamukhrij sinamayiyun wamuntij wakatib sinariu. waqad ashthr bi'aflamih alsaamtat, wakanat ealamatah almumayazat hi alkawmidia aljasdiat wataeabir wajhah alththabitat waljamidat , nal jayizat al'uwskar alfakhriat eam 1959

[9]هاشم، محمود." إيليا سليمان..عن «حنظلة السينما» وفلسطين الباقية في السكن والترحال".جريدة الشروق، (الإثنين2 ديسمبر 2019م)، رابط المقال:https://www.shorouknews.com/news/view.aspx

hashim, mahmud." 'iilia saliman.ein <<hnazilat alsiynama>> wafilastin albaqiat fi alsakan waltirhal".jiridat alshuruq, (al'iithnin2 disambir 2019m), rabt almaqala: https://www.shorouknews.com/news/view.aspx

*(غايل غارثيا برنال – Gael García Bernal): ممثل مكسيكي من مواليد 30 نوفمبر 1978. أدى دور تشي جيفارا في فيلم "مذكرات دراجة نارية" 2004 وهو الدور الذي رشح لأجله لجائزة بافتا لأفضل ممثل في دور رئيسى عام 2005.

*(ghayil gharithia barnal - Gael Garcia Bernal): mumathil maksikiun min mawalid 30 nufimbir 1978. 'adaa dawr tushi jyfaraan fi film "imdhikarat dirajat nari" 2004 wahu aldawr aladhi rashah li'ajalih lijayizat bafta la'afdal mumathil fi dawr rayiysaa eam 2005.

[10]حبشيان، هوفيك. "المخرج الفلسطيني إيليا سليمان يقاوم سينمائيا.. بالسخرية والصمت". جريدة إندبندنت عربية ، (الثلاثاء 9يوليو 2019)، رابط المقال: https://www.independentarabia.com/node/39641

habshian, hufayka. "almukhrij alfilastinii 'iilia sulayman yuqawim sinmayiya.. bialsikhriat walsmt". jaridat 'iindibindant earabiat, (althulatha' 9ywlyw 2019), rabt almaqala: https://www.independentarabia.com/node/39641

[11]الشايب، يوسف. "إيليا سليمان: فيلم إن شئت كما في السماء يتحدث عن عولمة فلسطين". جريدة الأيام ، (بتاريخ :2019-10-04)، رابط المقال:https://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=13758fdby326471643Y13758fdb

alshaayb, yusf. "'iylya salayman: film 'iin shit kama fi alsama' yatahadath ean eawlamat falastyn". jaridat al'ayam (btaarikh :(2019-10-04, rabt almaqal: https://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=13758fdby326471643Y13758fdb

*الكوريغرافيا (Coreografia) أو ما يسمى بعلم الرقص وهو فن حركة الجسد وعادةً ما تستخدم الموسيقى مع الرقص شكلاً من أشكال التعبير عن التفاعل الاجتماعي أو الفني أو الديني أو الترفيهي. وهو أيضاً شكل من أشكال الاتصال إذ تستخدم فيه لغة غير لفظية فيقدم من يؤديها تعبيرا عن المشاعر والعواطف من خلال الحركات والإيماءات الجسدية.

*alkurighrafya(Coreografia) 'aw ma yusamaa bieilm alraqs wahu fin harakat aljisd weadtan ma tustakhdam almusiqaa mae alraqs shklaan min 'ashkal altaebir ean altafaeul alaijtimaeii 'aw alfaniyi 'aw aldiynii 'aw altarfihi. wahu aydaan shakl min 'ashkal alaitisal 'iidh tustakhdam fih lughat ghyr lifaziat fiqidm min yuadiyha taebiraan ean almashaeir waleawatif min khilal alharakat wal'iima'at aljasdiati.

[12] حبشيان، هوفيك. "المخرج الفلسطيني إيليا سليمان يقاوم سينمائيا.. بالسخرية والصمت". جريدة إندبندنت عربية، (الثلاثاء 9يوليو 2019)، رابط المقال: https://www.independentarabia.com/node/39641

habshian, hufayka. "almukhrij alfilastinii 'iilia sulayman yuqawim sinmayiya.. bialsikhriat walsmt". jaridat 'iindibindant earabiat, (althulatha' 9ywlyw 2019), rabt almaqala: https://www.independentarabia.com/node/39641

[13]الشايب، يوسف. "إيليا سليمان: فيلم إن شئت كما في السماء يتحدث عن عولمة فلسطين". جريدة الأيام، (بتاريخ :2019-10-04)، رابط المقال: https://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=13758fdby326471643Y13758fdb